

الزمن واشكالياته في الخطاب السردى الجزائري

-نماذج مختارة-

**Time and its problems in the Algerian narrative speech
-selected model-**

ا.د خالد مختاري

سميرة بارودي*

جامعة أحمد بن بلة 1-وهران(الجزائر).

جامعة أحمد بن بلة 1-وهران(الجزائر)

Mokhtari.khaled@univ-oran1.dzSamirabaroudi05@gmail.com

تاريخ القبول: 30 - 12 - 2021	تاريخ التقييم: 21-06-2021	تاريخ الارسل : 2021/05/13
------------------------------	---------------------------	---------------------------

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على الدراسات النقدية الجزائرية في إطار السرديات؛ إذ ينطلق من متصورات جوهرية، تحاول أن تبين التحولات التي طرأت على القراءة النقدية والتغيرات التي لحقت المناهج المستقاة من الدرس النقدي الغربي، ينبني مقالنا وفق إشكالية أساسية هي مقارنة الدراسات التي اختصت بنقد الرواية والقصة القصيرة التي اتخذت من مقولة الزمن مرجعية أساسية لها، سنعمل على الكشف عن هذا العنصر الفاعل، من خلال تقسيمات زمنية واصطلاحية وموضوعية له في الخطاب النقدي الجزائري.

الكلمات المفتاحية: السردى؛ النقدي؛ الزمن؛ الخطاب.

Abstract:

The present paper attempts to shed light on Algerian critical studies in the context of narratives. It starts from substantial beliefs trying to accentuate the changes that have taken place in critical reading and the changes in the approaches drawn from Western critical studies. It is practically based on some studies that were focused on the critique of short stories and novels adopting the element of time, attempting to reveal this element through temporal, idiomatic and objective divisions of it in the Algerian critical discourse.

Keywords: narrative, critical, time, discourse

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة:

يُعدُّ الزمن صانع تطورات وتغيرات الشخصية البشرية، سواء أعلق الأمر بالجانب الفيزيائي، الذي يمثله الجسم الإنساني جراء ما ينتابه من صور متعددة على امتداد المدة الزمنية التي يعيشها من ولادته إلى شيخوخته؛ إذ إننا نرى ذلك واضحاً وندرکه بحواسنا دون عنت، إن الجانب المعنوي أو الضمني الذي يخص المسائل النفسية والفعلية، وما يطرأ عليها من نمو وتطور بشكل متزامن، كلما تقدّم عمر الإنسان، ومن هذا المنطلق الذي يؤكد أهمية الزمن بالنسبة للإنسان « يعد عنصر الزمن ضابط الفعل فيه، ويتم على نبضاته ويسجل الحدث وقائعه »¹

لقد حظي الزمن باهتمام الفلاسفة والعلماء والأدباء لما يتضمنه من ثنائيات ضدية متعلقة بالكون، والحياة، والإنسان، الوجود، والميلاد، والحركة، والديمومة كلها تتصل بحركتيه وفي علاقته بالإنسان وممارسة فعله « فالزمن هو وجودنا نفسه؛ هو إثبات لهذا الوجود أولاً، ثم قهره رويدا رويدا بالإبلاء آخر... إنَّ الزمن موكل بالكائنات، ومنها الكائن الإنساني، يتقصى مراحل حياته، ويتولج في تفاصيلها؛ بحيث لا يفوته منها شيء، ولا يغيب عنه منها فتيلٌ. كما تراه موكلاً بالوجود نفسه، أي بهذا الكون يغير من وجهه، ويبدل من مظهره، فإذا هو الآن ليل، وغدا هو نهارٌ، وإذا هو في هذا الفصل شتاء، وفي ذلك صيف»²

لاشك أن هاجس الزمن متجسد في غموضه وفاعليته، قد أوصل الإنسان إلى محاولة السيطرة على هذا الهلامي الفاعل، من خلال تقسيمات زمنية واصطلاحية وموضوعية، ليغدو الزمن في ذهن الإنسان شيئاً مقيساً ومسيطرًا عليه، ولكن في الوقت ذاته سيظل الزمن معبراً من قبل الذات وهو ما يتجلى في مرونة قياس الزمن أو الإحساس به .

2- التأسيس النقدي للزمن :

إن مقولة الزمن من أصعب المقولات التي تتصل بالسرد، ويظهر هذا الأمر بشكل أكثر وضوحاً في زمنية النص الأدبي وفي الرواية خصوصاً، لذلك بات من الضروري العناية

به، وإعطائه أولوية كبيرة، فهو عنصر بنائي يؤثر بشكل كبير في كل المشكلات السردية الأخرى كالحديث والشخصية، والمكان وغيرها، ولما كان الزمن حقيقة مجردة غير ظاهرة كباقي العناصر المذكورة، فإن أهميته تتجلى من خلال مفعوله وأثره الواضح عليها، فلا وجود له بمعزل عن هذه العناصر وهذا ما يؤكد أنه العمود الفقري للوجود، وصانع أحداثه وعليه « يشكل الزمن الروائي بوصفه مكونا بنائيا يلتحم بصورة عضوية مع بقية مكونات الخطاب الروائي، مجالا خصبا للدراسات النقدية الروائية، لأن الزمان كان منذ نشأة الرواية، عنصرا هاما ولا يزال كذلك حتى اليوم؛ بل أصبح نتيجة للتغير الواضح في التعامل مع آليات النص الروائي»³، هكذا يصبح الزمن بالنسبة للرواية ذا أهمية بالغة، من ناحية لعالمها الداخلي وأسلوب بنائها، ومن ناحية أخرى بالنسبة لصمودها وبقائها أو اندثارها. إن فكرة (التتابع، والحركة) التي يتسم بها مفهوم الزمن ضرورية لتصوير أهم ما تعرضه الرواية، وهي الأحداث كما ينسجها الروائي مهما كان مصدر هذا النسيج سواء كان تقليدا محضا للأحداث الواقعية أو تخيلا، وهذه الأحداث المعروضة لغويا في الرواية هي ما يعرف بالحكاية⁴، ولهذا عرف الزمن من أصعب المقولات التي تتصل بالسرد الروائي، وأخطرها شأنا وتحكما فيه.

وقد بدأ التفكير الفعلي بدراسة الزمن مع الشكلايين الروس الذين اهتموا به، وكان منطلقهم تحديد العلاقات التي تنظم الأحداث وتربط بين أجزائها أثناء تمييزهم بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي؛ إذ يرون أن الأحداث تعرض بطريقتين: إما بطريقة عملية، حسب النظام الطبيعي الذي يخضع لمبدأ السببية، وإما التخلي عن الزمن؛ بحيث يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا⁵، من حيث تناولها للبنيات اللغوية .

ثم بدأت معالم الاتجاه البنيوي بعد الشكلايين تتضح، وبرزت الدراسات المنهجية على أساس التصورات والتحليلات لتأثيرات سابقة، فقدموا من خلالها دراسات جادة للزمن خرجوا منها بنتائج مهمة؛ حيث قسم الزمن النصي إلى زمنين (زمن القصة) و(زمن الخطاب) للتمييز بين الزمن الموضوعي الخطي وزمن المتخيل متعدد الأبعاد، وتوصل تودوروف (Tzvetan Todorov) إلى أن الرواية تحتوي على نوعين من الأزمنة:

1- أزمنة خارجية: وهي زمن السرد وهو زمن تاريخي وزمن الكاتب، وهي الظروف التي كتب فيها الروائي، وزمن القارئ وهو زمن استقبال المسرود حيث تعد القراءة بناء النص.

2- أزمنة داخلية: تتمثل في زمن النص، وهو الزمن الدلالي الخاص بالعالم التخيلي، ويتعلق بالفترة التي تجري فيها الرواية، زمن الكتابة وزمن القراءة⁵، وعليه تجاوزت مقولات تودوروف (Tzvetan Todorov) الشكلايين؛ حيث يقيم تميزا آخر بين زمن الكتابة وزمن القراءة « فالأول يصبح عنصرا أدبيا بمجرد ما إن يتم إدخاله في القصة... أما الثاني فيتحدد في إدراكنا إياه ضمن مجموع النص، ولا يصبح عنصرا أدبيا إلا بشرط كون الكاتب معتبرا في القصة»⁶، وقد شكلت أبحاث تودوروف (Tzvetan Todorov) في طبيعة العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب طريقة جديدة ومنهاجا إجرائيا في تناوله للزمن.

أما أبحاث جيرار جنيت (Gérard Genette) فهي تمثل عينة أخرى في المضي قدما نحو الأحسن فهي قمة وخالصة الأبحاث التي تناولت الزمن، إذ ركز على كيفية إعداد السرد الجمالي وما يميزه على السرد الأخرى، لأن هذا الأخير في حقيقته لا يكون خارج الزمن فهو بداخله، وحتى نقوم بدراسة النظام الزمني علينا دراسة العلاقة بين زمن القصة وزمن الحكاية ولهذا يحددها لنا جيرار جنيت (Gérard Genette) في كتابه خطاب الحكاية حيث يقول « الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصة والترتيب الزمني للكاذب لتنظيمها في الحكاية، والصلات بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث أو المقاطع القصصية والمدة الكاذبة لروايتها في الواقع، يعني صلات السرعة وصلات التواتر... أي العلاقات بين قدرات تكرار القصة وقدرات تكرار الحكاية»⁷، أما فيم يخص المفارقات الزمنية من الاسترجاع والاستشراف سنتناولها لاحقا بالشرح والتفصيل .

لسنا ندعي أننا في هذه العجالة استطعنا الإلمام بكل النظريات والبحوث التي استغرقها الجهد الإنساني في مجال الزمن سواء أكان ذلك نظريا أو حتى إجرائيا، وكل ما نطمح إليه هو فهم هذه الأدوات، واستيعابها الكشف عن تطبيقاتها في الخطابات النقدية الجزائرية، وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن إشكالية وهي: هل استطاع الباحث الجزائري كشف إجراءات البناء الزمني في الخطاب السرد (القصة-الرواية) الجزائري؟ من خلال هذه الإشكالية الكبرى تتفرع مجموعة من التساؤلات نذكر منها: كيف استخدم

الخطاب السردى مقولة الزمن ؟ وكيف رصد الزمن الداخلى والخارجى وربطه بالمقولات السردية؟ كيف قدم لنا الزمن الموضوعى والزمن المتخيل من خلال السرود الجزائرية؟

3- الزمن الداخلى أو السيكلوجي :

نقصد بالزمن الداخلى، الزمن النفسى، أو الذاتى، أو الحسى، وإن الوظيفة الزمنية فى الأعمال القصصية، تخلق حالات نفسية متنوعة، والقصة ليست سردا فحسب، بل هى امتزاج الزمن الحسى بالزمن النفسى عن طريق " المناجاة "، ومنه ينتقل القص من مستوى الملاحظة إلى مستوى التأمل حيث تظهر الشخصية منطوية على نفسها يتجه السرد اتجاها عموديا، ويسيطر الزمن الذاتى (النفسى) على الزمن الواقعى وفى « الزمن الذاتى يتوقف الزمن، وتصبح الذاكرة، والأحلام، والمناجاة فى معزل عن تيار الزمان الحسى »⁸، هذا ما يظهره لنا أحمد طالب عند تطرقه للزمن فى القصة القصيرة الجزائرية فى قصة " يد الإنسان " لعبد الحميد بن هدوقة فى مجموعته القصصية " الأشعة السبعة " التى يناجى البطل نفسه ويعيش حالة من العزلة، وتكرر المناجاة فى القصة القصيرة الجزائرية من كاتب إلى آخر، ومن قصة إلى أخرى، عن طريق عزل الشخصية وجعلها فى حالة من عدم الاستقرار باستعمالها على شكل تذكر فى قصة " الدروب " للطاهر وطار من مجموعته " الطعنات " ظهرت المناجاة فى حالة من الاستقرار الزمنى عندما فكر الراعى " الباهي " فى المجاهدين، وفى قصة " السباق " استعمال أحلام اليقظة من خلال شخصية " علاوة " ووجوده، بشكل ملفت للانتباه ودليل على ذلك انعدام الضوابط الواعية، وهامشية الشخصية⁹، يلغى لنا الناقد أن المناجاة تقدم الحالة النفسية للشخصية الدرامية، وتظهر من خلال الذكريات والمشاعر المكبوتة، فتندفق دون ترتيب منطقي، بشكل عشوائى، إن وجود الهذيان قد يكون وجها من وجوه تيار الوعي حيث يكون « الزمن النفسى على شكل وحدات سردية عمودية تقاطعية، فتظهر الشخصية بتداعياتها النفسية الحرة »¹⁰، إن استعمال مثل هذه التقنية فى العمل القصصى يسود فيه الصيغة الفنية، بحيث يغلب التحليل على الانسجام، و التعقيد على البساطة، والفرد على الجماعة والعقل الباطن على العقل الواعي .

يرى الناقد أن وجود الزمن النفسي بصفة خاصة الدال على المعاناة في القصص التالية: "الغيم"، و"بحيرة الزيتون"، و"المغترب"، و"الأشعة السبعة"، و"محور العار" و"الطاحونة"، و"الطعنات"، دلالة على ثقل الزمن على الشخصية و« صبر ثم صبر، شهرا، اثني، ثلاثة أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة أشهر كاملة مائتان وثمانون يوما، ومائتان وثمانون ليلة... تسعة أشهر كاملة من القلق، والسأم والضجر، إنها تسع سنوات في الواقع»¹¹ يظهر لنا من خلال المعاناة الإحساس بوطأة الزمان، وأثره المباشر، وغير المباشر على الأحداث والشخصيات التي تحركها.

لاحظ رشيد قريع في رواية "البحث عن الوجه الآخر" لمحمد العالي عرعار أن الروائي قام بتهشيم الشخصية "البطل" ورمز لها بالضمير المتكلم وتوظيف "أحلام اليقظة": "إذ نشعر أن الزمن غير محدّد وليس مضبوطا حيث تتداخل العناصر الزمنية في الرواية، بطريقة فلسفية حيث إن الكاتب لم يفرق بين الزمن الماضي والحاضر، اللذان يمثلان الحياة والزمن المستقبل الذي يمثل الموت"¹².

إن الزمن حسب غاستون باشلار (Gaston Bachelard) في كتابه "جدلية الزمن" أنه العلامة ذات الوجهين يلتحم من خلالها الزمن الأفقي الخارجي مع الزمن العمودي الداخلي للشخصية، وغالبا ما ينكفئ الإنسان على ذاته باسترجاع ذاكرته في محاولة لمحاورتها ومساءلتها، ويتعلق الأمر بمجموع المشاعر والأحاسيس والتقلبات النفسية بشتى أنواعها، فتستغرق هذه العملية مدة زمنية محددة وهذا ما يسمى "الزمن النفسي" قد يطول أو يقصر حسب الحالة النفسية التي تعتريه وهي في حالتها هاته « وهكذا إيقاع واقعنا النفسي يركض، عندما يكون غنيا، حافلا فيركض معه الزمان ويحبو عندما يكون فقيرا مجدبا، فيزحف معه الزمان، الذي هو حبل يتجاذب به الحزن والفرح، للقلب البشري، والذي يتلاعب بالنفس كما تتلاعب أصابع العازف بأوتار الكمان...»¹³، يتبدى لنا أن هذا النمط من الزمن مرتبط أساسا بالشخصية الروائية، وهو خاضع لحالتها الداخلية، يتقلب بتقلب مزاجها، فيحرك مشاعرها الداخلية بصورة غير منتظمة، حيث يتباطأ في فترات الضجر والشدة، والضييق، والقلق، يتسارع في أحوال السعادة والفرح والأحداث المنتظرة¹⁴، كما نلاحظ أن هذا الزمن لا يقاس بمقياس الحقيقة، لأن مركزه هو اللا شعور الذي

يستقطب ويختزن الأحداث، والخواطر، والأحاسيس، والمشاعر، ضمن نظام يختلف كل الاختلاف مع نظام الزمن الواقعي.

يتعلق الزمن النفسي عند عبد الحميد بورايو¹⁵ بالواقع الداخلي، والمعاناة الفردية لشخصيات الرواية مثل "الطيب"، و"عائد" و"حجيلة" و"صفية" هو زمن يحمل منطقه الخاص يعكس حركة استقبال الحس لعناصر الأشياء الخارجية، ورد فعل الذات على ما يقع حولها فتتميز اللغة المعبرة عن هذا الزمن بالشفافية والذاتية وغلبة الطابع العاطفي في تقويم الأشياء والعلاقات، أن الناقد قد اعتمد على مفهوم الديمومة واهتم بأثر الزمن في الشخصية ومدى ادراكها تغيراته، كما تناول من جهة أخرى الرواية بوصفها خطابا وحل البنية الزمنية على تقسيمات تودوروف (Tzvetan Todorov) وجيرار جنيت (Gérard Genette) للزمن حيث ميزبين مستويين: زمن القصة، وزمن الخطاب

4- الزمن الخارجي أو الكرونولوجي:

الزمن القصصي يلاحق الزمن التاريخي، ممّا يجعل القاص الجزائري، يولي اهتماما خاصا بهذا الزمن، لأنه يسقط عليه عالمه التخيلي، وشكلت ثورة الفاتح من نوفمبر (1954) العظيمة المحور الأساسي عند معظم الكتاب، فنجد "أبو العيد دودو" الذي يصور ميلاد الفاتح من نوفمبر في قصته "أم السعد" وأيضا في قصة "المنام" التي تعبر عن الثورة وأحداثها، وواقعها على لسان بطلها الشاب "محمد الطاهر".

يرى الناقد أن الزمن الخارجي الموجود في القصة القصيرة الجزائرية تظهر بعدة أشكال منها "المثلثية، والمستديرة، والحلزونية و الخطية"، وتمثل كل من العقد-التمهيد-النهاية، الوحدات الجوهرية للعمل الأدبي، وترتبط فيما بينها بالمنطق¹⁶.

تمثلت البنية المستديرة عند عبد الحميد بن هدوقة في قصته "ثمن المهر" من مجموعة "الأشعة السبعة"، وعند أبي العيد دودو في قصته "أبو شقة" من مجموعة "الطريق الفضّي" لأن هذه البنية لا تقوم فقط على الفعل بل أيضا على رد الفعل، وتكاد تخلو من الصراع، الشيء الذي يوحى إلى دوران الأحداث وانفتاح السرد الحكائي وانغلاقه « وفي البنية الدائرية تفتقر الوحدات السردية الأصلية ويفسح المجال للجوافز الهادئة فينخفض التوتر، في رتبة ملحوظة مما يؤدي إلى إضمار العقدة أو إلى انحلالها في صمت

ويسر»¹⁷، أما البنية الحلزونية فتشبه البنية الدائرية إلا أنها «تعتمد على ذاكرة الشخصية القصصية وشريط الارتداد الذي يشكل ذروة سردية تبلغ معها العقدة قمتها، عند النهاية بسبب اشتداد إيقاع الوحدات المحفزة للأحداث»¹⁸، على سبيل المثال لا الحصر- نجد كلاً من: أبي العيد دودو في قصة "القائد" مجموعة "بحيرة الزيتون" و "المنام" من نفس المجموعة، وعبد الحميد بن هدوقة في "المغترب" مجموعة "الكاتب"، وعند الطاهروطار في قصة "السباق" مجموعة "طعنات"، تعتمد على البنية الحلزونية أو الدائرية للزمن التاريخي.

أما البنية الخطية فهي متحررة من جميع قواعد القصة أي (بداية.وسط.نهاية) وفيما يطغى القول على الفعل، وهي تشبه المقالة، ومن بين القصص-حسب الناقد- نجد كلاً من:

1. أبو العيد دودو في قصة "العودة" مجموعة "بحيرة الزيتون".
 2. أبو العيد دودو في قصة "الطيب" مجموعة "الطريق الفضي".
 3. - عبد الحميد بن هدوقة في قصة "الأوجه الخلفية" مجموعة "الأشعة السبعة".
 4. عبد الحميد بن هدوقة في قصة "الفراغ" مجموعة "الكاتب".
 5. الطاهروطار في قصة "ممر الأيام" مجموعة "دخان من قلبي".
 6. الطاهروطار في قصة "من يوميات فدائي" مجموعة "الطعنات"¹⁹
- وعليه فإن الإحساس بالزمن الخارجي كان طاغياً في أغلب القصص القصيرة، وطغيان الوظيفة الإخبارية على الإيحائية، والصراع بين الإنسان الجزائري والزمن ظهر بعدة أشكال مختلفة (المثلثية والخطية والدائرية).

قام إبراهيم عباس²⁰ بتحليل الزمن في رواية "اللاز" للطاهروطار، حيث حاول إبراز الدلالات التي تساعد عنصر الزمن التاريخي على شكلها، ونجد الروائي قد وظف عنصر الزمن على شكل مثلث قاعدته الزمن الحاضر الذي يشكل بؤرة الزمن الروائي في ضوء الزمن التاريخي، من خلال خلفية إيديولوجية مسبقة هي حاصل الزمن التاريخي بكل تفاعلاته وصراعاته الإيديولوجية.

فمثل الناقد الزمن التاريخي بمثلث كشف فيه عن الواقع المعيش في شتى أشكاله ويلتمس الناقد أن الخطاب الإيديولوجي لدى الطاهروطار يأتي مكشوفاً لا يحتاج إلى قراءة

تفسيرية حيث قام الروائي بتوظيف الإشارات الإيديولوجية بذكاء وقدرة فنية، وإن هذه التضادية (مرجعية النص) هي التي تثرى دلالة الزمن التاريخي في النص الروائي، وما تحمله من معاني الاختلاف والتعارض والتسابق الفكري والعقائدي في المجتمع، واللحظة الزمنية هي التي حددت بنية الزمن التاريخي ومنحته التمييز والتفرد والاختلاف.²¹

أما الزمن الاجتماعي الذي وظفه الطاهر وطار، في كل من رواياته "اللاز"، و"الزلزال" و"العشق والموت في زمن الحراشي" ففي هذه الخطابات، خطاب واحد سائد وهو «الخطاب الإيديولوجي وصراع ثنائي القطب بين مخلفات زمن الماضي/قوى التحرر التي ساهمت بالأمس، وبالإخلاص في تحرير البلاد من العدو الدخيل، وتسعى اليوم جاهدة في تحديد سيرورتها التاريخية، وفق تصوراتها المنهجية والفكرية»²² يؤرخ لدلالات الزمن الاجتماعي في هذه الأعمال الروائية بأسلوب النمذجة والتنميط، ورصد الصراعات الناتجة عن تصادم الأفكار، والرؤى، والتصورات، ويكون الزمن هو المقياس الفاصل بينهما أما شخصية جميلة في رواية "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" حفيدة "اللاز" هي البعد الحقيقي له في الزمن الحاضر²³، تأسيسا على ما سبق الزمن الاجتماعي في هذه الروايات يجمع بين عناصر متناقضة في الانتماء الاجتماعي فعندما يأتي رد فعل الشريحة الاجتماعية الثورية من راهن الوضع الاجتماعي ككل فإن الكتلة المقابلة الحاملة بواقع آخر، تأتي على شكل نقیض تحاول الدفاع عن تلك المكتسبات الموروثة من ذلك الزمن، ولا تريد أن تكون مهمته تابعة .

أما عبد الحميد بورايو في تحليله لرواية "الجازية والدرأويش" أن الموضوع الأساسي لها هو الزمن، ولم يكتف باستخدام الزمن كوسيلة للقص، بل راح ينتظم على أساسه وحداتها، في جميع مستوياتها، وجعله موضوعا أساسيا للقصة، فنجد فيها صراع الماضي والمستقبل، يتمظهر من خلال الأمكنة والشخصيات، وبالتالي يتحقق الزمن المطلق من خلال جميع الأزمنة، ونخلص إلى ثلاثة أشكال زمنية : الزمن النفسي، والزمن المطلق، والزمن الروحي أو الأسطوري، وهو الزمن الذي يقترب أكثر من الزمن المطلق ويتجسد في مواقف الدراويش والأحمر، في المقاطع الحوارية التي تنسب لهما يحمل طابعا ميتافيزيقيا فهو إيمان مطلق بالماضي، أو إيمان مطلق بالعلم والمستقبل²⁴، كما تناول في رواية "نوار اللوز"

لواسيني الأعرج زمن الأحداث الأسطورية المتعلقة بشخصيات السيرة الهلالية وكذلك تلك التي تعلقت بالحكاية الخرافية التي تؤدي بطولتها " لونجا" ذات السالف الطويل، ويمثل الزمن الأسطوري صوته الأساسي ومحركها الأول ومفجر موقفه كل ما يحصل حوله يظهر من خلال الرواية على درجة كبيرة من الاتساع والقوة ويعتمد على التجربة الثقافية للجماعة التي ينتمي إليها، وهذه الجماعة هي التي تحدد للرواية وضعها،²⁵ فقد استحضرت الناقد نموذج جيرار جنيت واهتم بمقولات الانتظام والديمومة والتردد وتجاوز هذا التصور بحثا عن رمزية الزمن تحليله للشبكة الزمنية المتعددة وقيمتها في معالجة انتظامه .

5-المفارقات الزمنية:

5-1 الاسترجاعات:

وهو ما يسمه "جيرار جنيت" (Gérard Genette) بـ " Analapsses " وتصادفنا عدة ترجمات لها: (فلاش باك-الارتداد-اللاحق-السرد الاستذكاري...) لكننا اخترنا أكثرها تداولاً وتعرف بأنها «كل عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد»²⁶، وقد حدد جينيت (Gérard Genette) ثلاثة أنواع من الاسترجاعات منها:

1-الاسترجاع الخارجي: وهو الذي تظل ساعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى ولا يوشك في أي لحظة أن يتداخل معها، وظيفته الوحيدة هي تنوير القارئ.

2-الاسترجاع الداخلي: وهو يرتد إلى الماضي لاحق لمنطق الرواية منذ بدايتها وهو نوعان:²⁷

2-1-الاسترجاع الداخلي الغيري: هو يتناول مضمونا قصصيا مختلفا عن مضمون الحكاية بإدخال شخصية حديثا يريد السارد إضاءة سوايتها.

2-2-الاسترجاع الداخلي المثلي: هو يتناول خط العمل نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى، حيث إنه يحدث تداخلا واضحا بينهما ويتميز فيه نوعان آخران: الاسترجاع الداخلي المثلي التكميلي، الاسترجاع الداخلي المثلي التكراري.

3-الاسترجاع المختلط: وهو المزاجية بين الداخلي والخارجي الذي يقوم على استرجاع خارجي يمتد حتى ينضم إلى منطلق الحكاية الأولى ويتعداه، من هذا النوع نتعرف على سيرة الراوي تدريجيا²⁸، اعتمدت زوزو نصيرة في بناء الزمن في رواية " شرفات بحر الشمال" لواسيني الأعرج على تقسيم جيرار جنيت (Gérard Genette) للاسترجاع الزمني الذي تضم مقاطع استعداده، تأتي لتسد فجوة سابقة في الحكاية، ويمكن أن تكون هذه

الأخيرة حذوفا مطلقة، أي نقائص في استمرارية الزمن، ويشغل هذا النوع حيزا أكبر في الخطاب، إذ ترتد ذاكرة ياسين إلى الماضي البعيد لتصور ذكرياته، فتجده يستعيد حدثا معيناً سرعان ما يقطعه ليؤجل الحديث عنه في مواضع أخرى يرى بن جمعة بوشوشة في مقارنته لرواية "تما سخت دم النسيان" للحبيب السائح²⁹ بأن ترتيب الأحداث في الرواية لا يأتي في شكل متوالية حكاية وفق نسق زمني متصاعد، بل يخضع إلى نظام التداخل بين أنساق الزمن (الماضي الحاضر، المستقبل) بسبب هيمنة السرد الاستذكاري-الاسترجاعي- ويتجلى هذا الأخير في استثمار الكاتب تقنية التذكر التي تقوم بها شخصية "عبد الكريم الصائم" لماضيها الخاص، الذي يعتمد إعادة بناء مراحل منه، وهو تاريخ شخصي يتقاطع مع تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، والزمن الماضي المستعاد من قبل الذات الساردة يستحوذ حضوره المهيمن على الحكي حيث إنها تستعيد تجربة حياته المنقضية باعتمادها على فعل الكتابة وتحقيق ذلك بالذاكرة وفعل التذكر.

يلفي واسيني الأعرج عند تعرضه لروايات الطاهر وطار، حيث استطاع بقدرة فنية معقولة أن يستفيد من انجازات الرواية الحديثة إذ إن أبرز ما تميز به « على الصعيد الأدوات الفنية الحديثة، هو التمكن بمهارة من لعبة الزمن، فليس في الرواية ذلك الزمن الواحد المسلسل التقليدي، بل تسير أحداث الرواية وشخصياتها عبر أزمنة متداخلة، ومتشابكة دون أن يختل البناء الروائي أو يضطرب تطور الشخصيات والأحداث»³⁰، يرى الناقد أن الطاهر وطار قد بنى روايته "اللاز" بكاملها على أساس " الفلاش باك " أو كما استعملناه في هذا البحث مصطلح -الاسترجاع -أسهم في الكشف عن الخلفية التاريخية للمضامين المثارة داخل الرواية تماشياً مع طبيعة الوقائع التي حدثت في الماضي مستغلاً بذلك تقنية الاسترجاع لتجسيد الحاضر عبر الحلقات الأكثر تقدماً من الماضي، أما في رواية "عرس بغل" لنفس الكاتب- حسب نظرة الناقد- فقد بقيت على شكل حلزوني؛ حيث إن شخصيات الرواية تعيش داخل جهاز سحري، كل شيء يلمس يتحول إلى سلعة مربحة، وتعرض للبيع، ففي هذه الرواية نواجه واقعاً جديداً تتبدل فيه كل المفاهيم من معنى إلى آخر، وتسقط النزاعات الإنسانية وتزج عن طريقها الحقيقي، الذي كان يجب أن تسير فيه،

يستغل الطاهر وطار تقنية الاسترجاع ويجعلها أداة تكشف وتسלט الضوء على هذه الشرائح البشرية، تتحرك مرغمة داخل هذا العفن، عفن الماخور، ويبين لنا كيف أنها مخلوقات حية وبشرية تطمح في العيش الشريف، وممارسة أحلامها بكل عنفوان على الرغم من البؤس الذي يجبر على عيشه فنجد "حياة النفوس" تمثل وجهها من وجوه التناقض الاجتماعي الحاد، فهي مشوشة بين حلمها في الزواج وبين ما تعيشه في الماخور فنجدتها ترد إلى ذاتها بكل حزن، وشقاء وتطلب العودة إلى صدر أمها الحنون³¹

5-2-1 استباقات:

يسمى أيضا الاستشراف، أو السرد الاستشرافي، أو التوقع، ويتعلق الأمر بتلك العملية السردية التي تعني باستباق الزمن والتطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في إشارة إلى حدث أو مجموعة من الأحداث اللاحقة في زمن الحكي³²، وغاية السارد من استخدام مثل هذه التقنية لا يعد كونه وسيلة من وسائل تعميم الحدث وإخفائه من جهة، وقد يكون هدفه تهيئة القارئ لما سيحدث، ولكن الغالب ألا تكون أحداثا كاملة بل عبارة عن ومضات سردية أنية تحمل دلالات محددة وناقصة إنما قورنت بمجموع الأحداث التي أشيرت إليها.

يرى بن جمعة بوشوشة هذه التقنية في دراسته لرواية "تماسخت دم النسيان" للحبيب السائح، مبينا أن فاتحة الرواية الموسومة برؤيا كابوسية قد مثلت نوعا من الاستباق الزمني وجعل منه توطئة، فهذه الرؤية التي أثارت فتنة بين الأقارب لتفوح برائحة الموت والخراب، وهي تشير إلى ما ستكون عوالم المتن الحكائي للرواية مع استثمار الرعب، والقتل، وحولت واقع الجزائر التسعينيات إلى كابوس لا يزال في الزمن الحاضر، وتجسد عبر شخصية "كريم" الذي يمثل «ماضي قريب عليها في حاضرها الذي يتخذ شكل الانتظار»³³

أما إبراهيم عباس بمقاربة لروايات الطاهر وطار، يرى حماس الكاتب يدفعه في بعض الأحيان - إلى الخروج عن السياق الفني وسقوطه في الخطابية، والاستشراف عنده يتخذ شكل الإعلان عن سلسلة الأحداث التي يستمدها السرد حاملا إيديولوجيا فاعلا، لأن الصراع بين مصطفى "اليمين المتطرف" و"جميلة" الطالبة اليسارية والدخول في هذا الصراع يعني التقديم له، واستنطاق البطلة، وتحميلها "الحل المنتظر" الذي يقتضي

التمهيد له ³⁴. قدم لنا الاستشراف، في متواليات حكاية سابقة في الحدوث، حيث وظفت هذه التقنية بشكل شديد التداخل يقترب من درجة الأسطورة تارة، والنبوءة تارة أخرى، لكنه في كل الحالات حاملا خطابا إيديولوجيا واضحا، يتنبأ بمستقبل زاهر.

6-حركية الزمن:

تعد المقاربة السيميائية للحسن كرومي لحركية الزمن في رواية "الزلال" التي حاول من خلالها بشكل لافت للانتباه، أن يدرك أسرار العلاقة الواهية بين الزمن والمكان في الرواية وحسبه تبدو هذه العلاقة تكاملية فلا مكان بدون زمن ولا زمن بدون مكان؛ حيث استطاع الراوي أن يخرج عن تقاليد بناء الزمن الداخلي للرواية كونه تحاشى الالتزام بطريقة السرد المباشر، وبديل اعتماد التسلسل الزمني المعهود في عرض الأحداث، تبنى الطاهر وطار تكسير هذا التسلسل وتقديم الحدث الروائي داخل اللاتسلسل « أي إن الأحداث في رواية الزلال كانت تتحرك في حيز معلوم هو الحاضر ولكنها كانت تعود في بعض الأطوار إلى الوراء فكانت ستار الحاضر الذي وضع إطارا للرواية كان الزمن لا يتردد في أن يتسرب إلى الماضي البعيد طورا والقريب طورا آخر، فيصفه، وينطلق إلى المستقبل، فينتزع منه بعض الأحداث ليضعها في حيز الحاضر وفقا لما يتطلبه البناء الدرامي في الرواية »³⁵ ساهم هذا النمط من العرض الزمني في كشف خفايا شخصية البطل واستيضاحها ضمن الأزمنة الثلاثة (الماضي-الحاضر-المستقبل)، ويمكن القول إن موضوع الصراع مع الزمن وأن الزمن ظل على مر الرواية محركا للمشاعر وحسب الناقد فإن مصطلح "الزلال" لا يعني شيئا إلا بتفوق حركة الزمن فمن خلاله فقط تستطيع علاقات القوى الاجتماعية أن تتغير فينتهي زمن الإقطاع ليغدو زمنا جديدا للميلاد بالنسبة إلى عمال الأرض، زمنا جديدا مليئا بالخصب، والنماء والإشراق وتخلو فيه ممارسات الإقطاع.

أما مقاربة طاهر ورائية لرواية "فاجعة الليلة السابعة بعد ألف" لواسيني الأعرج فإنبت على البحث في جماليات فاعلية الزمن في توليد الدلالي، فيطرح إشكاليات توظيف الزمن في الخطاب الروائي الجديد مزاجا بين المفاهيم التي رسختها السرديات الروائية عند "جيرار جنيت" و"مايك بال"، منفتحا على السيميائيات الدياكرونية، وجماليات التلقي للتوغل في عالم النص القارئ، يرى الناقد أن الرواية تمثل تجليات الزمن من عنوانها

الأصلي والفرعي «فالتوجهات الزمنية المقدمة بواسطة العنوان تجعلنا نلج إلى فضاء روائي ذي أزمنة متداخلة وملتبسة يتحول عبرها الزمن إلى فاجعة تاريخية تتجاوز حدود المكان والزمان»³⁶، فقد جعله زمنا مطلقا غير خاضع لأي كرونولوجيا.

حسب الناقد أن العنوان الفرعي "رمل الماية" يتضافر مع العنوان الأصلي لرسم ظلال أندلسية متخيلة تضيف على القصة دلالة السحر، والافتنان للعالم الشرقي الأسطوري المليء بالروحانية، وعبر الماضي الذي ليس بالماضي المحدد إنما هو الزمن الكوني الذي تندرج ضمنه زمنية العود الأبدي، فيرى طاهر رواينية أنه بتمرد "دنيا زاد" على تقاليد الحكيم ومناوراتها لسلطة المستمع يكون "واسيني الأعرج" قد تخطى فتنة الحكيم، وأسقط قوانينها منجزا كتابة سردية لا تشكل فيها الحكاية أكثر من مجرد ظل وطرز متلاش، يشير إلى زمن منقرض معلنا أن هذا الزمن توقف مع نهاية الحكاية ليبدأ زمن آخر كان من الصعب تتبع ملامحه ومعرفتها³⁷ وبهذا الطرح يحاول الناقد إيجاد خصوصية الزمن في هذه الرواية التي لا تتقيد بغير زمنية الكتابة والقراءة من خلال التمفصلات الكبرى لهذه الزمنية والتي تشكل الاستدعاءات المتكررة والمفاجئة أحد أهم هذه التمفصلات التي اتخذت من الذكرى فعلا تحريضيا وتحفيزيا للشخصية المحورية: "بشير الموريسكي" على لسان "دنيا زاد" التي أعادت ترهين هذا الماضي في حاضر متخيل، تحملت فيه مسؤولية الكشف وتغري الواقع من خلال الرجوع إلى الماضي الأسطوري، إن استخدام المتميز للزمن في هذه الرواية هو ما حفز الناقد على دراسة هذه البنية الزمنية التي تنقطع وتعديل عن السائد السردى خارقة الميثاق المؤلف ليتحول الزمن إلى زخرفة تتوالد داخلها مدلولات ممتلئة تترك الباب شارعا أمام التأويلات غير محدودة.

نصل في الختام إلى تسجيل بعض الملاحظات الإجرائية التي يمكن أن ننطلق منها لتفعيل قراءات أخرى متداخلة مع أهداف ومخرجات هذا البحث فالزمن بتشعباته ومدركاته داخل المتن السردى الجزائري يقدم لنا البنية الزمنية بطريقة معقدة ومتداخلة حيث:

-قدم الزمن الداخلي عن طريق المناجاة، والمعاناة، وأحلام اليقظة التي مركزها اللاشعور الذي يستقطب ويخترن هذه الأحداث والأحاسيس والمشاعر ضمن نظام يختلف مع نظام

الزمن الواقعي، واعتماد الديمومة كتقنية زمنية يجتمع فيها زمن القص وزمن الخطاب من أجل إدراك الشخصية وتغيراتها،
يمثل الزمن الحاضر بؤرة الزمن الروائي في ضوء الزمن التاريخي من خلال البنية السياسية والإيديولوجية بكل صراعاتها وتفاعلاتها.
- أما الزمن الاجتماعي يجمع بين عناصر متناقضة في الانتماء الاجتماعي في النصوص الإبداعية والنص الروائي خاصة باستعمال أسلوب النمذجة والتنميط لرصد الصراعات الناجمة عن تصادم الأفكار والرؤى والتصورات.
- التغيير في الفواصل الزمنية من استذكار واستشراف، وتوظيف تقنيات زمنية مختلفة كالتردد والانتظام والديمومة من أهم المفاهيم التي تناولها الخطاب الروائي الجزائري التي أضفت على النص السردي جمالية خاصة.

1-الهوامش:

- 1 -أحمد طالب، مفهوم الزمن و دلالاته في الفلسفة والأدب (بين النظرية والتطبيق)، دار الغرب لنشر والتوزيع، ط2004، ص: 28.
- 2 - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، كويت ديسمبر 1995، ص: 199.
- 3 -حفيفة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، رام الله -فلسطين، ط1، 2007، ص: 187.
- 4 -نصيرة عشي، البنية السردية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، دار نينوى، دمشق، ط1، 2016، ص: 82.
- 5 -توماتشفسكي وآخرون، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، تر: إبراهيم الخطيب، المؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1982 ص: 179- 180
- 6 - تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان ميزان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005 ص: 110 .
- 7 سعید یقطین ، تحلیل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط1، 1989، ص: 74.
- 8 - جیرار جنیت، خطاب الحكاية، (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأردی، وعمر الحلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1997. ص: 46- 47.
- 9 - أحمد طالب، مفهوم الزمن و دلالاته في الفلسفة والأدب (بين النظرية والتطبيق)، ص: 84.
- 10 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
- 11 - أحمد طالب، مفهوم الزمن و دلالاته في الفلسفة والأدب (بين النظرية والتطبيق)، ص: 51.

- 12 - الطاهر وطار "محور العار" مج "دخان من قلبي"، ص 143 نقلا: أحمد طالب، مفهوم الزمن ودلالته في الفلسفة والأدب (بين النظرية والتطبيق) ص: 56.
- 13 - رشيد قريع، تطور الخطاب الروائي عند محمد العالي عرعار "البحث عن الوجه الآخر"، دراسات جزائرية، يصدرها مختبر الحضاري والأدبي في الجزائر، ع3، مارس 2006 ص: 209.
- 14 - سمير الحاج ياسين، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 1980، ص: 05.
- 15 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص: 208.
- 16 - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، الجزائر، 2009، ص: 131-132.
- 17 - أحمد طالب، مفهوم الزمن ودلالته في الفلسفة والأدب (بين النظرية والتطبيق)، ص: 58.
- 18 - المرجع نفسه، ص: 42.
- 19 - المرجع نفسه، ص: 43.
- 20 - إبراهيم، عباس تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، (دراسة في بنية الشكل للطاهر وطار، عبد الله العروي، محمد لعروسي)، دار النشر، 2002، ص: 108.
- 21 - المرجع نفسه، ص: 115.
- 22 - المرجع نفسه، ص: 121.
- 23 - المرجع نفسه، ص: 124.
- 24 - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص: 129-131.
- 25 - المرجع نفسه، ص: 156-162.
- 26 - جبرار جنييت، خطاب الحكاية، ص: 60.
- 27 - زوزو نصيرة، بنية الزمن في رواية "شرفات بحر الشمال" لواسيني الأعرج، مجلة مختبر، ع2، 2005، صص: 101-102.
- 28 - المرجع نفسه، ص: 103-105.
- 29 - بن جمعة بوشوشة، جماليات بنية الخطاب السردية في رواية "تماسخت دم النسيان" الحبيب السائح مجلة التين، مارس 2006، ع 26، ص: 33-34.
- 30 - واسيني الأعرج، الكتابة الواقعية في روايات طاهر وطار، دراسة نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، ص: 254.
- 31 - المرجع نفسه، ص: 113-115.
- 32 - جبرار جنييت، خطاب الحكاية، ص: 76.
- 33 - بن جمعة بوشوشة، جماليات بنية الخطاب السردية في رواية "تماسخت دم النسيان" الحبيب السائح، ص: 35.
- 34 - إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، ص: 140.
- 35 - لحسن كرومي، لحسن كرومي، حركة الزمان وجماليات المكان في رواية الزلزال، حوليات البحوث الجامعية الإنسانية والعلمية جامعة وهران، الجزائر، ع5، 1998، ص: 106.

36 - الطاهر روائية، سرديات الخطاب المغاربي الجديد، مقارنة نصانية، نظرية، تطبيقية في آليات المحكي أطروحة (مخطوطة)، جامعة الجزائر، تحت إشراف: واسني الأعرج، 1999-2000 ص: 371.

37 - المرجع نفسه، ص: 373.

قائمة المراجع:

- 1- طالب أحمد، 2004، مفهوم الزمن ودلالاته في الفلسفة والأدب (بين النظرية والتطبيق)، دار الغرب للنشر والتوزيع .
- 2- عباس إبراهيم، 2002، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، (دراسة في بنية الشكل للطاهر وطار، عبد الله العروي، محمد لعروسي)، دار النشر.
- 3- أحمد حفيلة، 2007، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوغارت الثقافي، رام الله - فلسطين .
- 4- يقطين سعيد، ط1، 1989، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب .
- 5- الحاج ياسين سمير، ط1، 1980، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 6- بورايو عبد الحميد، 2009، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، الجزائر.
- 7- مرتاض عبد المالك، ديسمبر 1998، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار عالم المعرفة، الكويت.
- 8- الأعرج واسيني، 1989، تجربة الكتابة الواقعية في روايات طاهر وطار، دراسة نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
- 9- عشي نصيرة، 2016، البنية السردية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، دار نينوى، دمشق .

المراجع المترجمة :

- 1- تزفيتان تودوروف، ط1، 2005، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان ميزان، منشورات الاختلاف .
- 2- جيرار جنيت، ط1، 1997، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأودي، وعمر الحلي منشورات الاختلاف، الجزائر.

الأطروحات :

- 1- روائية الطاهر، 1999-2000، سرديات الخطاب المغاربي الجديد، مقارنة نصانية، نظرية، تطبيقية في آليات المحكي أطروحة (مخطوطة)، جامعة الجزائر .

المقالات:

- 1- بوشوشة بن جمعة، مارس 2006، جماليات بنية الخطاب السردية في رواية " تماسخت دم النسيان" الحبيب السائح مجلة التين، الجزائر، ع 26، ص: 33، 34، 35.
- 2- رشيد قريبع، مارس 2006، تطور الخطاب الروائي عند محمد العالي عرعار " البحث عن الوجه الآخر"، دراسات جزائرية، يصدرها مختبر الحضاري والأدبي في الجزائر، ع3، ص: 209.
- 3- زوزو نصيرة، 2005، بنية الزمن في رواية "شرفات بحر الشمال" لواسيني الأعرج، مجلة مختبر، الجزائر، ع2، ص: 105، 101.

4- لحسن كرومي، 1998، حركة الزمان وجماليات المكان في رواية الزلزال، حوليات البحوث الجامعية الإنسانية والعلمية جامعة وهران، الجزائر، ع5، ص: 106.